الكاريكاتير والمضمون الاجتماعى كحلول تشكيلية مستحدثة فى الواجهات الزجاجية الملونة

(دراسة لتجربة "آرت سبيجلمان" داخل "المدرسة العليا للفنون والتصميم" بـ"مانهاتن")

إعداد

أ.د. محمد عبد السلام عبد الصادق

أستاذ تاريخ الفن والتصوير،

كلية الفنون الجميلة- جامعة الأسكندرية.

DOI:

https://doi.org/10.21608/ijdar.2024.319134.1021

المجلة الدولية للتصاميم والبحوث التطبيقية

دورية علمية محكمة

المجلد (٣). العدد (١١). أكتوبر ٢٠٢٤

P-ISSN: 2812-6238 **E-ISSN: 2812-6246**

https://ijdar.journals.ekb.eg/

الناشر

جمعية تكنولوجيا البحث العلمي والفنون

المشهرة برقم ٢٧١١ لسنة ٢٠٢٠، بجمهورية مصر العربية

https://srtaeg.org/

الكاريكاتير والمضمون الاجتماعى كحلول تشكيلية مستحدثة فى الواجهات الزجاجية الملونة

(دراسة لتجربة "آرت سبيجلمان" داخل "المدرسة العليا للفنون والتصميم" بـ"مانهاتن")

إعداد

أ.د. محمد عبد السلام عبد الصادق

أستاذ تاريخ الفن والتصوير،

كلية الفنون الجميلة- جامعة الأسكندرية.

المستخلص

كان الرومان أول من عرف بتوظيف الزجاج للنو افذ. هى تقنية من المحتمل أن يكون قد تم إنتاجها لأول مرة فى مصر الرومانية (فى الأسكندرية على وجه التحديد خلال القرن الأول قبل الميلاد)، مع انتشار الطراز القوطى فى أوروبا خلال القرون من العاشر إلى الثالث عشر الميلادية لعبت الواجهات الزجاجية دورا هاما فى إبراز قوة الكنيسة من خلال عرض كتب وشخوص العهدين القديم والجديد.

وكذلك من خلال تطور تقنيات تلوين وتعشيق الزجاج. ثم خلال القرن السابع عشر الميلادى شاع استخدام الزجاج فى نو افذ المنازل السكنية فى "إنجلترا". مع معرفة صناعة الألواح الزجاجية مع نهاية القرن التاسع عشر عرف مستوطنو "أمريكا" الأوائل توظيف الواجهات الزجاجية العملاقة. خلال مراحل تطور صناعة الزجاج وتوظيفه فى نو افذ وواجهات المبانى كان هناك دورومضمون يسعى المعمارى لإيصاله للمجتمع. قد ساهم الفنانون عبر اتجاهات ومدارس متعددة ورؤى مختلفة لنشر قيم خاصة بالعقيدة أو تحفيز الوعى أو تنمية المجتمع فكريا وسلوكيا، حيث وجدوا فى الواجهات الزجاجية- كجزء هام فى العمارة- عامل جذب مميز ومؤثر.

البحث التالى يتعرض لتحليل تجربة فنية ومعمارية مميزة لرسام الكاريكاتير "آرت سبيجلمان". إنه الفنان الذى نقل فن الكاريكاتير إلى مستوى أكبر تأثيرا من خلال توظيف عناصره وأسلوبه الفنى فى مجموعة من الواجهات الزجاجية داخل "المدرسة العليا للفنون والتصميم" بمنطقة "مانهاتن" فى "نيويورك". حيث حقق عبر تصميماته المميزة رؤية حديثة ومبتكرة صارت محط أنظار العالم. علاوة على أن لها دورا هاما فى فتح المجال أمام المصورين المتخصصين فى مجال التصوير الجدارى وتزيين الواجهات المعمارية لتجاوز الحلول التشكيلية والموضوعات التقليدية المألوفة.

الكلمات الرئيسية: الكاريكاتير، الحلول التشكيلية، الواجهات الزجاجية.

Caricature and Social Content as Formation Solutions Innovative in Colored Glass Facades
(A Study for "Art Spiegelman" in "The High School of Art and Design" at "Manhattan")

Abstract:

The Romans were the first to use glass for windows. It is a technique that was likely to have been produced for the first time in Roman Egypt (in Alexandria specifically during the first century BC). With the spread of the Gothic style in Europe during the tenth to thirteenth centuries AD, glass facades played an important role in highlighting the strength of the church. Through displaying books and characters from the Old and New Testaments, as well as through the development of glass coloring and interlacing techniques. Then, during the seventeenth century AD, the use of glass in the windows of residential homes became common in England. With the knowledge of making glass panels, at the end of the nineteenth century, the first settlers of America knew how to employ giant glass facades. During the stages of development of the glass industry and its use in the windows and facades of buildings, there was a role and content that the architect sought to convey to society. Artists have contributed across multiple trends, schools, and different visions to spread values specific to faith, stimulate awareness, or develop society intellectually and behaviorally, as they found in glass facades - as an important part of architecture - a distinctive and influential factor of attraction.

The following research analyzes a distinctive artistic and architectural experience by cartoonist “Art Spiegelman”, who moved the art of caricature to a more influential level by employing its elements and artistic style in glass facades of “the High School of Art and Design” in “Manhattan”. In “New York” Through his distinctive designs, he achieved a modern and innovative vision that became the focus of world attention. In addition, it has an important role in opening the way for painters specialized in the field of murals

and decorating architectural facades to go beyond plastic solutions and familiar traditional themes.

Keywords: Caricature, Formation Solution, Glass Facades.

المقدمة

منذ ظهوره فى مطلع الحضارات القديمة، شكل فن الكاريكاتير (الرسم الساخر) أهمية كبيرة فى طرح مشاكل المجتمع، وضربا هاما من ضروب التوعية البصرية، ثم برز من خلاله الComics، القائم على تتابع فن المشاهد المصورة، ومع تطور التقنيات وأدوات التعبير فى مجال الفنون البصرية امتزج فن الكاريكاتير مع فنون أخرى كالنحت والتصوير الحائطى، بل تجاوزت بعض الشخوص الكاريكاتورية وقصص الـ Comics حيز الرسم فى المطبوعات المختلفة لتكون كيانات حقيقية من خلال شركات الإنتاج السينمائى والمسرحى، وغيرها.

ولكونه أصبح أكثر أشكال الفنون البصرية ارتباطا بالمجتمع فقد وقع اختيار "مدرسة الفنون العليا والتصميم" بمنطقة "مانهاتن" فى "نيويورك" على "آرت سبيجلمان"، أحد أهم فنانى الكاريكاتير ومنتجى كتب الComics فى "الولايات المتحدة" ليضيف برسومه حلا تشكيليا لواجهة زجاجية داخلية، بحيث يحقق التصميم المنفذ أغراضا تتعلق بمفهوم التعليم والفن وتبرز علاقة الدارسين وزائرى المدرسة وسائر فئات المجتمع بالمدرسة العريقة، وهو ما سيتم استعراضه خلال البحث التالى.

أهمية البحث

تتركز أهمية البحث فى إلقاء الضوء على أهم القيم التشكيلية والفكرية المستحدثة فى رسوم الواجهات الزجاجية ضمن العمارة الحديثة، وذلك من خلال امتزاج رسوم الكاريكاتير بتقنيات الرسم والتلوين على الواجهات الزجاجية العملاقة، الأمر الذى من شأنه تطوير موضوعات التصوير الجدارى بشكل عام، وتطوير الرسوم والموضوعات المرتبطة بتصوير الواجهات الزجاجية بشكل خاص.

أهداف البحث

١- التعرف على تجربة فنان الكاريكاتير ورسوم الComic "آرت سبيجلمان" " Art Spiegelman" في مجال تصوير الواجهات الزجاجية المعمارية.

٢- تحليل فكرة العمل والتصميم المنفذ داخل "المدرسة العليا للفنون والتصميم"

بـ"مانهاتن" والوقوف على علاقته بالقيمة الوظيفية والاجتماعية، وأثر ذلك على المتلقى.

٣- إيضاح أهم النقاط الفنية والتقنية المستحدثة فى تصميم الواجهة المنفذة، وذلك فى سبيل طرح رؤى وحلول جديدة أمام المصورين المتخصصين فى مجالات التصوير الجدارى وتزيين الواجهات المعمارية المختلفة.

منهج البحث

المنهج التاريخى والمنهج التحليلى.

الإطار النظرى للبحث

يشتمل الإطار النظرى على الجوانب التاريخية المرتبطة بإنشاء "المدرسة العليا للفنون والتصميم"، وكذلك استعراض موجز لرحلة الفنان "آرت سبيجلمان" من رسوم الكاريكاتير والقصص المصورة الهزلية "Comics"، وحتى بلوغه مرحلة التكليف بتنفيذ الواجهة الزجاجية محل البحث، علاوة على إجراء تحليل للقيم والمضامين الاجتماعية للعمل المنفذ وعلاقته بالمتلقى من هيئة العاملين بالمدرسة وطلابها وكذلك الزائرين، كما يشمل البحث على رؤية تحليلية للتصميم المنفذ من حيث علاقته بالمنشأ المعمارى، والقيم التشكيلية به مثل المشغول والفراغ والألوان المستخدمة وعلاقة ذلك بالتقنية المستخدمة.

أولا : لمحة تاريخية حول "المدرسة العليا للفنون والتصميم" بـ"مانهاتن:

هى مدرسة ثانوية للتعليم المهنى والفنى فى "مانهاتن"، تأسست على يد المصمم والخزاف "جون بى. كينى"John B. Kenny" " فى عام ١٩٣٦م تحت اسم مدرسة الفنون الصناعية، وتم تشغيلها كمدرسة استمرارية، أى مدرسة يحضرها الأطفال الذين تركوا المدرسة، وحصلوا على وظائف لمدة نصف يوم لمواصلة تعليمهم، بما فى ذلك عادةً الفصول المهنية ذات الصلة بوظائفهم الحالية أو المحتملة فى المستقبل، ومع ذلك... فقد تم افتتاحها كمدرسة ثانوية مهنية، وفى الثامن من نوفمبر من عام ٢٠٠٤م تم تحديد موعد لتجمع حاشد بمناسبة الذكرى الثامنة والستين لتأسيس المدرسة، كان من المقرر أن يشمل ذلك مؤتمرًا صحفيًا يتم فيه الحث على زيادة الدعم للمدرسة، وفى الثامن من نوفمبر ٢٠٠٦م احتفلت المدرسة بالذكرى السبعين لتأسيسها، وخلال هذا الاحتفال أصدر مكتب عمدة مدينة "نيويورك" إعلانًا يجعل يوم الثامن من نوفمبر "يوم المدرسة الثانوية للفنون والتصميم"، تجدر بنا الإشارة إلى أنه خلال سنوات تأسيسها وتطورها شهدت المدرسة انتقالات وتوسعات عدة، وذلك قبل أن تستقر فى موقعها الحالى منذ عام ٢٠١٢م، وهى تابعة حاليا لوزارة التربية والتعليم فى

"نيويورك Dec 13- Hartocollis. see: ". B11) (2000-

تقوم الدراسة فى المدرسة على تجربة الطلاب الجدد لجميع موضوعات الفن والتصميم فى السنة الأولى لالتحاقهم بالمدرسة، وذلك قبل اختيار التخصص فى السنة الثانية، و يتلقى الطلاب فترتين من تدريس الفنون يوميًا، حيث يمكنهم الاختيار من بين ثمانية تخصصات فنية : الهندسة المعمارية والتصميم الجرافيكى، والرسوم الإيضاحية، والأزياء، والتصوير الفوتوغرافى، وفن الفيديو والسينما، علاوة على رسم الكاريكاتير، ومجال الرسوم المتحركة، وفى كل عام يتم تنظيم معارض شهرية لأعمال طلاب المدرسة وذلك فى "معرض كينى للفنون والتصميم" "Art and Design's Kenny" (Gallery. see: Tweti 5 Dec 2001- D8)

ثانيا : "آرت سبيجلمان" ودوره فى الحركة الفنية :

هو "إيزاك إبراهام سبيجلمان" من مواليد ١٥ فبراير ١٩٤٨م، رسام كاريكاتير أمريكى ومحرر للقصص المصورة، اشتهر بروايته المصورة"Maus" ، كان عمله كمحرر مشارك فى المجلات المصورة "Arcade" و "Raw" مؤثرًا، ومنذ عام ١٩٩٢م أمضى عقدًا من الزمن كفنان مساهم فى مجلة The New" "Yorkerالأمريكية، تزوج من المصممة والمحررة "فرانسواز مولى Farancoise" "Mouly، وهو والد الكاتبة "ناديا سبيجلمان"Nadj Speigelman" "، وفى سبتمبر من عام ٢٠٢٢م أعلنت المؤسسة الوطنية للكتاب أنه سيحصل على وسام المساهمة المتميزة فى الآداب الأمريكية. (Reid- 2007- 223)

فى منتصف الستينيات من القرن العشرين بدأ "سبيجلمان" حياته المهنية مع شركة لإنتاج حلوى الأطفال تدعى"Topps" ، وهى الشركة التى ظلت مصدر الدعم المالى الأساسى له لعشرين عاما تالية، وقتها استطاع أن يساهم فى تحرير سلاسل رسوم ساخرة مثل "Wacky Packages" (بمعنى "الحزم الحمقاء") فى الستينيات، و "Garbage Pail Kids" (بمعنى "أطفال سطل القمامة") فى الثمانينيات، وفى عام ١٩٩٢م فاز بجائزة "بوليتزر" الخاصة (الجائزة التى تمنحها سنويا "جامعة كولومبيا" فى "نيويورك" فى مجالات الخدمة العامة والصحافة والآداب والموسيقى)، علاوة على قيام "سبيجلمان" وزوجته "مولي" بتحرير أحد عشر إصدارًا من مجلة "Raw" من عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٩١م، وساعدت مجلات القصص المصورة والرسوم الضخمة التى أخرجها وأشرف عليها فى تقديم العديد من الفنانين الموهوبين فى هذا المجال مثل "تشارلز بيرنز" "Charles Burns"، و"كريس وير" "Chris Ware"، وغيرهما. كما كان له

دور فى تقديم العديد من رسامى الكاريكاتير الأجانب إلى اللغة الإنجليزية، علاوة على كل ما تقدم فإن لـ"سبيجلمان" دور توعوى وثقافى كبير، إذ قاد من خلال أعماله الكاريكاتورية والقصص المصورة حملات سياسية وثقافية، وحاضر بصفته محررًا ومعلمًا ومشرفا على رسامى الكاريكاتير الشباب فى أكثر من محفل لإبراز دور الرسوم والقصص المصورة فى خدمة المجتمع (see: Chute- 2010- 36: 40).

ثالثا : واجهة "سبيجلمان" فى إطار مفهوم الفنون التطبيقية ودورها مجتمعيا

فى البداية تجدر الإشارة إلى أن الدور الذى تلعبه "المدرسة العليا للفنون والتصميم " بـ"مانهاتن" هو الدور ذاته الذى لعبته مدرسة "دو ستيل "De Stijl" "فى "هولندا" والتى تأسست عام ١٩١٧م بغرض نشر مفاهيم الفن التجريدى، وجعلها جزءا من الحياة اليومية للمتلقى العادى، مع دمج مفاهيم الفنون الحديثة والفنون النفعية، وبحيث أصبح المجتمع محاطا بالأشكال والألوان المختزلة، فتغيرت معايير الجمال، وأصبحت مفاهيم الفن الحديث أكثر قربا وتعبيرا عن متطلبات مجتمعات ما بعد الحربين العالميتين، فى أوروبا أولا، قبل أن تنتقل إلى الولايات المتحدة (see: White- 2003- 54:60)، ومنها حققت الانتشار الواسع عالميا إلى وقتنا الحالى.

بخبرته الثقافية والفنية الواسعة يدرك "سبيجلمان" هذا الدور المشترك بين المدرستين، ويعكس تصميمه مدى تاثره بأعمال أقطاب مدرسة "دو ستيل" وهو ما يتضح للوهلة الأولى فى التصميم المنفذ، حيث عمد إلى استخدام الخطوط السوداء المستقيمة، والتى تتقاطع رأسيا وأفقيا مشكلة مساحات هندسية غلب عليها الألوان الاساسية الثلاثة على هيئة مساحات مصمتة، وهى نفس المعالجة التى غلبت على أعمال الهولندى "بيت موندريان" "Piet Mondrian" (١٨٧٢- ١٩٤٤م) فى مراحله الأخيرة، معتبرا- "موندريان"- أن الخطوط المستقيمة تعبر عن المسار الطبيعى للحياة واتساقها وتناغمها. (شكل ١) و(شكل ٢).

(شكل ١) تفصيلية من الواجهة التى قام "سبيجلمان" بوضع تصميماتها

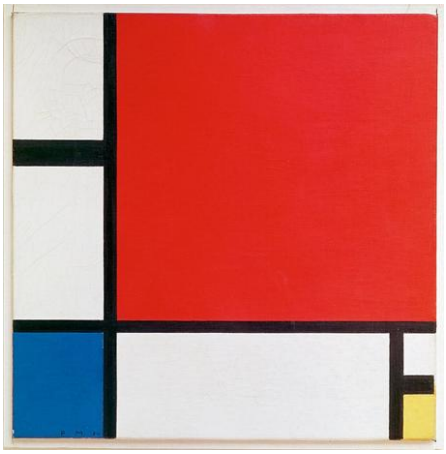

(شكل ٢) بيت موندريان- تكوين الأصفروالأحمر والأزرق- ١٩٣٠م

يمثل عمل "سبيجلمان" سلسلة من التحديات، فمن المفترض لواجهة مثل هذه أن تستمر لعقود طويلة فى مدرسة عامة، تضم تنوعا وتغيرا مستمرا للأذواق ومستويات الإدراك والوعى، بمعنى آخر.. فالعمل المنفذ يجب أن يكون له معنى وقيمة حين تنفيذه، محملا برسالة، وفى الوقت ذاته يجب أن يستمر المعنى والقيمة والرسالة لفترات زمنية لاحقة، وهذا بالتحديد هو المبدأ الذى وضعه "سبيجلمان" نصب عينيه أثناء قيامه بوضع هذا التصميم، الأمر الذى دفع "كيندال هنرى"Kendal Henry " "، مساعد مفوض الفن العام فى وزارة الشؤون الثقافية ليعلق قائلا : "نريد أن يشعر كل طالب بانتمائه للمكان، وأنه تمت الإشارة إليه فى هذا العمل الفنى"، كما قالت "جينيفر ماكجريجور" "Jennifer McGregor"، المديرة الأولى لشركة التصميمات الفنية: "Percent of Art" "يرتبط الكثير من العمل بالمجتمع وبالموقع، وفى الوقت نفسه لا يمكن أن يكون الأمر محددًا للغاية، لأن الفن سيظل موجودًا لأعوام قد تقدر بالعشرات أو بالمئات، وخلال ذلك الوقت حتما ستتغير المجتمعات"، كما علقت "ميتشل كوهين" المدير المؤسس للفنون داخل المدارس العامة: "يجب أن يتناسب مع الهندسة المعمارية للمبنى بحيث يبدو وكأنه ينتمي إلى هناك، وليس معلقًا على الحائط، كما يجب أن تكون متينة -Tweti) ". Art and Design's Kenny Gallery - 5 Dec 2001- D8)

قد يكون عمل بهذا الحجم فى مكان عام أكثر أهمية بالنسبة للطلاب من المتحف ذاته، فقد لا يتسنى للطلاب زيارة متحف سوى مرة أو مرتين فى العمر، لكن المؤكد أنهم سيكونون مرتبطين بعمل كهذا فى مدرسته، لا سيما وأن العمل يمكن رؤيته خلال مستويات عدة، يرافقهم خلال سنوات دراستهم بشكل يومى وعلى مدار ساعات متصلة، فالعمل يطل من مستوى علوى على منطقة تناول الطعام والمشروبات (شكل ٣)، كما يمكن تأمله عن قرب عند المرور بالردهة العلوية (شكل ٤)، بكلمات أخرى.. لقد سعى "سبيجلمان" لصنع عمل يمكن رؤيته عبر عدة مستويات، بالمعنى الحرفى والمجازى لمفهوم "المستوى".

(شكل ٣) العمل كما يبدو من منطقة تناول الطعام فى المدرسة العليا للفنون والتصميم

(شكل ٤) زاوية ومستوى رؤية مختلفين لعمل "سبيجلمان"

لم يكن اختيار "سبيجلمان"، وهو فنان الرسوم الهزلية والقصص المصورة على مدار عقود طويلة من قبيل المصادفة، لكنه جاء بناءا على إلمام بالدور الذى يلعبه هذا النوع من الرسوم فى تشكيل وعى المجتمع، علاوة على أن فن الكاريكاتير ظل على مدار قرون مصاحبا للمتغيرات الاجتماعية ومعبرا عنها، وعلى الرغم من تعدد وتطور تقنياته بالشكل الذى يلبى متطلبات العصر، إلا أنه لم ينفصل ى مضمونه عن قضايا المجتمع، كان دوما قادرا على التشكّل تبعا للغاية والغرض المرجو منه، لم يكن يوما فنا نخبويا، ولا منعزلا فى أطر فلسفية معقدة على نحو ما ظهر فى مدارس واتجاهات فنية عديدة، لهذا كُتب لفن الكاريكاتير البقاء والاستمرار، بإمكاننا أن نفهم ذلك من خلال ما جاء فى بحث نشرته "إيفيجا زاكا "Evija Zaca" " الباحثة بجامعة "لاتفيا" تحت عنوان "Caricature as a Creative Work for its Creator and Viewer" : يرى البعض أن رسامى الكاريكاتير يخلقون انعكاسا مشوها للواقع، وبحيث لا يمكن فهمه، وهذا استنتاج غير عادل فى مجمله، فرسوم الكاريكاتير ذات القيم الجمالية يمكن لنا أن نطلق عليها "ثقافة الجماهير"، ولذا.. فنحن نعتقد أنه لفهم رسوم الكاريكاتير يجب على المشاهد الاستزادة من المعرفة، وبهذا يصبح المشاهد وخبرته ومعارفه عاملا أساسيا يقوم عليه هذا الفن الواسع (Zaca- 2012- 54: 69).

وفى الإطار نفسه نقرأ فى كتاب " Content of Our Caricature"(بمعنى "محتوى رسومنا الساخرة") لـ"ريبيكا وانزو " "Rebecca Wanzo"أستاذ الدراسات النسوية بجامعة "نيويورك" : " نظرًا لاعتمادهم على الاختصار البصرى لرواية القصة أو شرح الموضوع، كثيرًا ما يستخدم

فنانو الكاريكاتير والقصص المصورة الرسوم والأشكال النمطية السلبية،، ولكن- على الجانب الآخر- هناك عدد من الرسوم التى تعتبر بمثابة مُثُل عليا، لنفكر مثلا فى كيفية استخدام شخصية كسوبرمان كمرجع واضح للذكورة المثالية، إن رسامى الكاريكاتير يوظفون مئات من هذه الرسوم الكاريكاتورية لتوصيل معايير الانتماء والمجتمع والمواطنة(Wanzo- 2020- 36) ."

من كل ما تقدم يمكن الوقوف على الفكرة التى يقوم عليها تصميم العمل موضوع البحث، حيث يعتمد "سبيجلمان" على قوة تأثير فن الكاريكاتير وانتشاره اجتماعيا على نطاق واسع، ليعبر هنا من خلال الدمية الخشبية ذات الملامح البسيطة التى لا تخلو من طرافة عن الوجود الإنسانى، لكنه وجود يريد الفنان معه أن يُسقط المشاهد من حساباته تمايز الجنس أو اللون أو العقيدة، فالدمية الخشبية هنا نموذج للإنسان مجردا، وهو فى الوقت نفسه ليس إنسانا بالمعنى الحرفى، هو ليس كائنا حى بالمرّة، لكنه يكتسب صفات الإنسانية من خلال التعلم، حيث تظهر الشخصية الأساسية هنا (الدمية الخشبية) فى لوحات ثلاث رئيسية للنافذة الكبيرة.

تمثل كل لوحة مرحلة من مراحل تكون الفنان : أولا كطفل محاط بالألعاب، شخوص آلية وأنبوب لون ومكعبات تعليمية ودمية على شكل دب صغير، هنا يظهر النموذج البشرى وهو يقوم ببعض التخطيط العفوى على كتاب مفتوح فى غرفته (شكل ٥)، وثانيا كتلميذ مبتدىء يعمل على طاولة الرسم، يتلقى فى عقله جرعات متفاوتة المقادير من "الشك الذاتى" "Self-Doubt"و"الكدح"Perspiration" "، وسوف نلاحظ أيضا وجود "الحرفية" "Craft"و"الإلهام "Inspiration" "كمزيج هام لبناء المجتمع، المبدأ ذاته الذى قامت عليه مدرسة "باوهاوس" فى "المانيا" عقب الدمار الذى خلفته الحرب العالمية الأولى (شكل ٦)، وثالثا كدارس بالغ يجسد فنان المستقبل الناضج، يتمدد محاطا بوسائل التكنولوجيا والاتصالات المتطورة، فنرى الإنسان الآلى الآن (والذى كان مجرد لعبة يلهو بها فى اللوحة الأولى) يقوم على خدمته، يعلو رأس الفنان هنا "خوذة الواقع الافتراضى"، بينما يظهر فى العمل بلون ذهبى خافت نفس الرسم العفوى الذى كان يخططه فى الكتاب فى اللوحة الأولى (شكل ٧).

مجال عمله فى رسوم الكاريكاتير والقصص المصورة يفرض على "سبيجلمان" تجاور النص وتداخله مع الرسوم التعبيرية بشكل أساسى، وكجزء متمم للحل التشكيلى للتصميم، فنلاحظ فى المربعات الزرقاء التى تحيط بالموضوعات الأساسية ظهور كلمات تعبر عن التخصصات والمجالات التى يتم

تدريسها داخل المدرسة : "Ceramic"، "Design"، "Photography"، "Illustration"، "Cartooning"، "Fashion"، "Drawing"، "Painting"، "Architecture"، "New Media"، علاوة على وجود كلمة "Yesterday" "الأمس" فى اللوحة الأولى وكلمة "Tomorrow" "الغد" فى اللوحة الثالثة، وهو ما دفع "سبيجلمان" ليطلق على عمله عنوانا هو "كان اليوم فقط بالأمس".

(شكل ٥) تفصيلية "Yesterday" من عمل "سبيجلمان"

(شكل ٦) تفصيلية اللوحة الثانية من عمل "سبيجلمان"

(شكل ٧) تفصيلية "Tomorrow" من عمل "سبيجلمان"

اختار "سبيجلمان" الزجاج المحفور المرسوم يدويًا مع وجود الخط الأسود وحضوره القوى، علاوة على ضخامة أحجام العناصر التى ستكون قابلة للرؤية من مسافة بعيدة، والألوان الصريحة، مما جعل العمل بشكل عام ذا تاثير مبهج على عين المتلقى، كما بدا "سبيجلمان" وكأنه يحفّز الطلاب للمطالعة والقراءة، فتكون اللوحة الكبيرة وكأنها "قصة مصورة" معروضة، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أنه أراد أن يتمكن الطلاب من قراءة العمل كما لو كانوا يقرأون القصص المصورة، كما جاء اختيار هذا التصميم وفى هذا الموضع بالذات من المدرسة ليكون بمثابة "رباطا اجتماعيا" يتعلق بمبادىء المدرسة ومضمون التعلّم فيها من ناحية، ومن ناحية أخرى يحفز المكان والعمل الجمالى على مضاعفة الإحساس بالانتماء داخل المكان مع إزالة الفروق والمستويات المتباينة بين الطلاب، فمكان تناول الطعام يعدّ "مثاليا" لاجتماع

الطلاب جميعا فيه، تنشأ فيه الذكريات الطيبة خلال تبادل الخبرات وسرد الأحداث وتشاركها.

رابعا : رؤية تحليلية لتصميم "سبيجلمان"

سبقت الإشارة إلى فكرة التقسيم التى قام عليها تصميم "سبيجلمان" للواجهة الزجاجية، وفى هذا الجزء محاولة لتحليل القيم التشكيلية للعناصر، وعلاقتها ببعضها البعض، وكذلك بالفراغ المحيط، مع الوقوف على المضمون التعبيرى والرمزى الذى حاول "سبيجلمان" إيصاله عبر هذه القيم والعلاقات، وذلك فى سبيل فتح السبيل أمام الدارسين والمشتغلين بتصميم الواجهات لفهم العمق الذى يكمن خلف العناصر، مهما بدت بساطتها وطرافتها، أو كانت مستمدة من تفاصيل يومية معتادة.

أ) لوحة "Yesterday"

يعتمد التصميم هنا على وجود الدمية الخشبية كعنصر بطولة يتوسط التكوين، مع وجود علاقات محورية متعددة الاتجاهات من خلال حركة الجذع والأطراف، ومع وجود كتلة الكتاب التى تتجاوز إطار العمل، يؤكد "سبيجلمان" على نقطتين هامتين: الأولى تتمثل فى الديناميكية التى يحدثها جسد الدمية، والتى من المفترض أنها تفتقد للحياة، لكنها هنا مع سعيها للمعرفة والإبداع تبدو وكأنها تتحرك- تلقائيا- فى الفراغ، محدثة إحساسا بالحيوية، أما النقطة الثانية فهى عبور الكتاب إلى خارج الإطار، وهو المعنى الذى يريد "سبيجلمان" أن يستشعره طلاب المدرسة، فلا يمكن تجاوز العالم بأطره المحدودة إلا من خلال العلم (متمثلا فى الكتاب) والإبداع (متمثلا فى الرسم البسيط الى يظهر على صفحات الكتاب).

فى الجزء الأسفل تحتشد العناصر لتضاعف من إحساس المشاهد بثقل التكوين، بينما تتناثر مجموعة من العناصر التى تمثل لعب الأطفال فى نغمات بصرية متفاوتة الحدة والتأثير يمينا ويسارا، ثم فى الجزء العلوى من الخلفية يظهر جزء من الفراش الذى تستقر فوقه دمية دب صغير، وكأن الفراش وماعليه يمثل بقايا الطفولة التى توشك الدمية الخشبية (المبدعة) على مفارقته، وإلى اليسار جزء من دولاب صغير، يحدث توازنا لكتلة الفراش، وتظل المجموعة اللونية معتمدة على الألوان الاساسية الثلاث فى المقام الأول : الأصفر والأحمر والأزرق، مع ظهور الأخضر فى الفراش والدولاب ليرمز إلى بكارة المرحلة وعفويتها. (شكل ٨).

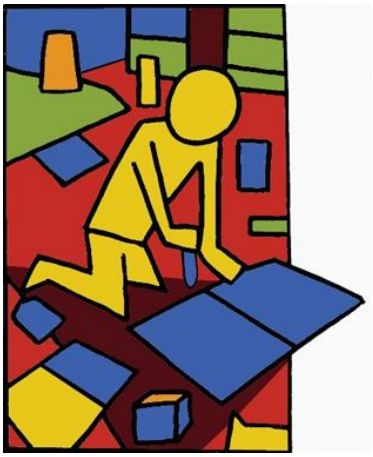

(شكل ٨) مخطط تحليلى لعلاقات الخطوط والمساحات والألوان فى لوحة "Yestrday"

ب) اللوحة الثانية

من خلال تسليط الرؤية على العنصر الأساسى (الدمية الخشبية) ليتصدر التكوين جالسا خلف منضدة للرسم، يعلوها مصباح مكتبى، يعمد هنا "سبيجلمان" إلى استخدام تكوين إشعاعى، حيث تتوزع العناصر بشكل دائرى حول العنصر الأساسى، العناصر هى كيانات بشرية تتمثل فى خطوط عضوية تتجه نحو الرأس المفتوح، بينما تتباين معها اتجاهات الرايات المرفوعة، تحمل كل منها عنصرا من عناصر تكوين الشخصية الفنية، ومع وجود عنصر مثل الخرطوم يتضاعف الإحساس بالحركة والتفاعل بين شخصية الفنان فى طور التكوين وبين المبادىء المحيطة، يبدو استخدام الأشكال العضوية هنا، وعلى هذا النحو المتضاعف، مناسبا للتعبير عن المعانى والقيم المرتبطة بالجوانب الشعورية والإبداعية المتحررة، على خلاف الخطوط الهندسية التى ترتبط بالشق العقلى وإخضاع كل المفردات والمعطيات لحسابات دقيقة وصارمة، أما وجود الدائرة الزرقاء فهى تشكّل عنصر ربط هام بين العناصر المتناثر والعنصر الرئيسى من ناحية، ومن ناحية أخرى تعطى للمشاهد انطباعا بوجود عالم أكثر عمقا يمكن النفاذ إليه عبر مجمل المبادىء والأفكار المحيطة : الشك الذاتى، الحرفية، الإلهام والكدح.

يواصل "سبيجلمان" التركيز على المساحات اللونية الصريحة للألوان الثلاثة، مؤكدا على قيمة الاختزال غلى الحد الأدنى من كل العناصر التشكيلية، ويُلاحَظ تردد اللون ذاته الموجود فى الدمية الخشبية خلال أجساد الشخوص الإنسانية التى تحيط بالعنصر الرئيسى، فى إشارة ضمنية واضحة لوجود عامل مشترك بين الإنسان وبين مبادىء الفن والعلم، كما تلعب الألوان دورا هاما حين نلاحظ ارتباط الأزرق بسروال الشخصية التى تحمل خرطوما يبث الـ"Perspiration" (الكدّ)، والذى يعنى أيضا "العرق المبذول"، أما اللون الوردى فى فيظهر فى الشخصيتين اللتين تحملان "الإلهام" و"الحرفية" مع اختلاف تفاصيل الشخصيتين، حيث يستبدل "سبيجلمان" رأس شخصية "الإلهام" بمصباح يدل على نور الفكرة المتولدة، أما سروال الشخصية

التى تحمل راية الشك الذاتى فقد لونه الفنان بالأحمر، ومع إضافة ذيل للشخصية ستبدو لنا وكأنها "جنّى" أو "شيطان" ماكر، لما للشك دوما من مفهوم فلسفى يرتبط بإنكار الثوابت، وعلى رأسها الغيبيات المرتبطة بالدين. (شكل ٩).

(شكل ٩) مخطط تحليلى لعلاقات الخطوط والمساحات والألوان فى اللوحة الثانية من واجهة "سبيجلمان"

ج) لوحة "Tomorrow"

تتكاثف فى هذا الجزء العناصر ليعبر الفنان بذلك عن زخم التجارب والمواقف والخبرات والشخوص التى يمر بها الفنان حتى بلوغ مرحلة النضج، ونحن هنا نطالع الدمية الخشبية وقد استقرت فى وضعية استرخاء، لكنها مع ذلك خير منبسطة، بل تتخذ وضعا زجزاجيا (صعودا وهبوطا للجذع والمفاصل)، محورية مع الإطار المحدد للعمل، حيث لا يكون تمدد الدمية (الفنان) هنا مرادفا للسكون، لكنه معبر بشكل مختلف عن الحركة الكامنة، على حين تبدو العناصر الثانوية أكثر احتشادا وتعقيدا فى علاقاتها الرأسية والأفقية والمحورية، وذلك كى تتلائم مع الفكرة التى يريد "سبيجلمان" أن يبثها للمتلقى، والمتعلقة بمفهومه عن الغد، وحتى حين تظهر الدائرة الزرقاء نفسها فى أعلى يمين التكوين فهى تكتسب بعدا ماديا، ثلاثي الأبعاد، يبزغ خلالها صاروخ، وإلى يسارها قاعدة إطلاق، هنا ينتقل الفنان من البعد الرمزى المجرد للمساحة إلى البعد المادى التشخيصى.

تستمر الدرجات اللونية فى التكرار والتردد بين أجزاء الواجهة الثلاثة، لتحدث حالة من الوحدة العضوية بصريا لدى المشاهد، فى الوقت الذى يضع "سبيجلمان" فى حساباته درجة اللون واختلافها تبعا للإضاءة الساقطة من خارج الواجهة، أو عبر النفاذ من خلالها، وهى من النقاط الهامة تقنيا بالنسبة لكل الفنانين الذين يتعاملون مع النوافذ والتصوير على الواجهات الزجاجية، بشكل عام تبدو الحالة اللونية متناغمة وبسيطة، مكثفة ولا تكلّف فيها، وتكشف عن ثقافة ووعى "سبيجلمان" تاجه الخامة والتقنية، وذلك على الرغم من أن تخصصه فى مجال الرسوم الساخرة والقصص المصورة المطبوعة يبدو بعيدا بشكل كبير عن مجال الرسم والتصوير على الزجاج (شكل ١٠).

(شكل ١٠) مخطط تحليلى لعلاقات الخطوط والمساحات والألوان فى لوحة "Tomorrow"

أما فى المربعات الزرقاء التى تفصل بين كل لوحة وأخرى، فقد آثر "سبيجلمان" أن يقوم بحلها تشكيليا من خلال كتابة اسم أحد التخصصات الفنية التى يتم دراستها داخل المدرسة، مع التعبير عن كل تخصص بشكل كف اليد، والتى تتغير معالجتها التشكيلية كل مرة تبعا للتخصص المشار إليه، فجاءت معبرة بشكل مبسط عن كل تخصص، ومن خلال توظيف لونين فقط : الأصفر للعنصر، والأزرق للخلفية (شكل ١١).

(شكل ١١) رسم تخطيطى يوضح الأقسام الثمانية فى "المدرسة العليا للفنون والتصميم" كما عبر عنها "سبيجلمان" من خلال عنصر الكف الإنسانية بمعالجات متنوعة : والأقسام بترتيب الأشكال (من اليسار لليمين) هى "تصميم الخزف"- الفوتوغرافيا- الرسم التوضيحى- رسوم الكارتون- الموضة- الرسم والتصوير- العمارة- الوسائط الحديثة

خاتمة

لم يكن الطريق ممهدا بشكل كلّى أمام "سبيجلمان" لتنفيذ مشروعه الذى تم افتتاحه فى أبريل عام ٢٠١٤م، فقد كان عليه مواجهة إجراءات بيروقراطية عديدة، وآراء غير متزنة بشأن تعديل التصميمات المقترحة، بل أن المشروع كان سيتعرض للإجهاض فى بدايته مع تعرض المدرسة لفترات من تقلص الميزانية، إنه أمر صعب بالنسبة لرجل اعتاد على شق طريقه بشكل إبداعى متحرر كرسام كاريكاتير ومحرر لسلسلة قصص مصورة لها تاريخها، إلا أن حلم تصميم نافذة بهذه المساحة، وفى مكان كهذا، ظل "على قائمة أمنياته" على حد تعبيره، ليثبت من خلاله قدرة فنون الكاريكاتير والComics على إيجاد حلول غير تقليدية، تعيد تشكيل ذوق المجتمع، من خلال التعامل مع العناصر المعمارية داخل المنشآت العامة والخاصة، وعبر تقنيات أكثر تعقيدا وتخصصا.

النتائج

أولا: استنتج الباحث قدرة فنون الرسوم الساخرة الكاريكاتير والـ Comics على تقديم

رؤى وحلول مبتكرة للواجهات المرتبطة بالعمارة.

ثانيا: كشف البحث من خلال استعراضه لتجربة الفنان "سبيجلمان" قدرة المبدع على الانتقال من التقنيات المبسطة التى تعتمد على الأدوات التقليدية المألوفة للرسم والتلوين إلى تقنيات أكثر تعقيدا تتعلق بالحيوز الفراغية المعمارية.

ثالثا: وقف الباحث على الدور المستمر للمدارس الفنية التى حاولت دمج الفنون والحرف، فى سبيل الارتقاء ببنية المجتمع جماليا وصناعيا، وتعد "المدرسة العليا للفنون والتصميم" بـ"مانهاتن" من أهم النماذج المعاصرة فى هذا المضمار.

رابعا: توصل الباحث إلى أن فنون الرسوم الساخرة شكلت مجالا هاما من مجالات الفنون الحديثة التى تعتمد على الاختزال مع توصيل المضمون للمتلقى، وذلك مع ارتباطها بإيقاع الحياة اليومية للمجتمع من خلال المطبوعات الصحفية والكتب وغيرها.

خامسا: من خلال تحليل تصميم "سبيجلمان" المنفذ للواجهة الزجاجية موضوع البحث استنتج الباحث عددا من المفاهيم والمعانى التى ارتبطت بالقيم التشكيلية التصميمية من مشغول وفراغ وخطوط ومساحات وألوان وعناصر بطولة وعناصر ثانوية.

التوصيات

أولا : ضرورة الكشف عن تجارب فنية مماثلة فى العصر الحديث، بحيث يمكن الوقوف على قيمة دمج الفنون والحرف المرتبطة بالحياة اليومية.

ثانيا : التأكيد من خلال البحث الموضوعى الأكاديمى على الدور الذى تلعبه فنون الرسوم الساخرة فى تبنى القضايا والنهوض بوعى عامة المتلقين.

ثالثا : إبراز دور فنون الرسم الساخر فى إضافة لمسة جمالية وتثقيفية من خلال توظيفها فى الفراغات والواجهات المعمارية والتصاوير الحائطية.

رابعا : الدعوة إلى تعميم التجربة موضوع البحث بشكل عملى فى العديد من الشوارع والميادين، مع مراعاة أن يقدم الفنان ما يتناسب مع مجتمعه سواءا من حيث الشكل أو من حيث المضمون.

References

1- Chute, Hillary L.- Graphic Women: Life Narrative and Contemporary Comics. Columbia University Press- 2010.

2- Reid, Calvin- Art Spiegelman and Françoise Mouly: The Literature of Comics- University Press of Mississippi- 2007.

3- Wanzo, Rebbeca- The Content of Our Caricature- New York University Press- 2020.

4-White, Michael- De Stijl and Dutch Modernism- Manchester University Press- 2003.

5-Zaca, Evija- Caricature as a Creative Work for its Creator and Viewer- LIMES: Borderland Studies- 2012 Volume 5(1): 54–69.

6- Hartocollis, Anemona- "From a Rude Bump, a Lift for a School", The New York Times- December 13- 2000- p. B11.

7- Tweti, Mira- School's Alumni and Staff Feel Its Art Emphasis Is Neglected- The New York Times- December 5- 2001- p. D8.